السي أي إيه في خدمة الرئيس بوش!

27-4-2004

أما الخطر الثاني الذي تمثله المؤسسات الاستخبارية فإنه الأسوأ، ألا وهو استغلال هذه المؤسسات من طرف السلطة التنفيذية لتكون وسيلة تحكم وسيطرة بالساحة الداخلية، الرئيس ريتشارد نيكسون كان دوما يقول إن "السي اي ايه" هي ذات انحياز ليبرالي وكانت تعمد لتزويد جون كيندي بالمعلومات لتساعده في الفوز بانتخابات 1960 الرئاسية.
ومادام مدير الوكالة يتصرف بما يتناسب مع رغبات

تعيش وكالة المخابرات المركزية الأميركية "السي أي إيه" مرحلة أزمة هي الثانية في تاريخها منذ تأسيسها عام 1948 لتكون في خدمة الرئيس الأميركي بصفة أساسية. اليوم لابد من أن يحصل مدراء الوكالة على موافقة مجلس الشيوخ قبل تعيينهم في هذا المنصب، كما أنهم مطالبون بتقديم تقارير عن نشاطاتهم وفق مواعيد زمنية مناسبة للجان الاستخبارات في الكونغرس، غير أن هذه الملامح لم تحد من قدرة الرؤساء الأميركيين على استخدام "السي أي إيه" بما يناسب ظروفهم ومصالحهم.
والأزمة الراهنة هي نتيجة حملة قام بها البيت الأبيض لتبرير الإطاحة بحكومة الرئيس العراقي صدام حسين عبر استخدام تقارير استخبارية عن مخزونات عراقية من أسلحة الدمار الشامل والبرامج المتسارعة لإنتاج المزيد منها غير أن فريقا من "السي آي ايه" يضم أكثر من ألف شخص فشل عقب سقوط بغداد بعد تفتيش دام ستة أشهر في العثور على أي أسلحة دمار شامل وتوصل رئيس الفريق ديفيد كاي إلى أن برامج البحوث والتطوير العراقية قد أوقفت، أو ألغيت، منذ سنوات.

هذا الإخفاق البين الذي تعرضت له الاستخبارات الأميركية أصبح الآن مادة لعدة تحقيقات متواصلة، ولابد أن يكون موضوعا للجدل طوال سنوات عديدة في المستقبل، وهذا الإخفاق زاد من حدة تعقيده ما وجده ديفيد كاي فعلا، ورش فارغة ومصانع ومختبرات عاطلة إضافة للدليل على أن النظام العراقي كان في سنواته الأخيرة مصابا بالفساد وانخفاض المعنويات والتفكك.

وتبين أن "السي آي ايه" لم تكن فقط جاهلة بحقيقة الأمور في بغداد، بل إن جهاز التقديرات في الوكالة أعرب في أكتوبر 2002 عن "ثقة عالية" في قائمة مخيفة وصفها عما يزعم بأنها تهديدات موجودة وحقيقية، وقد ركز الجدل الشعبي والتحقيقات النيابية على هذين الإخفاقين المتوازيين على نحو يمكن فهمه, إذ كيف لـ "السي آي ايه" بميزانيتها التي تبلغ عدة مليارات من الدولارات وبإطار وظيفي إجمالي يقارب 20 ألفا من العاملين أن تقوم بعملها على هذا النحو بالغ السوء؟ لكن هناك سؤالين جوهريين، أكثر أهمية، لايزال المراقبون والمحققون حتى اللحظة يتجنبون طرحهما:

هل خضع مدير الوكالة جورج تينيت وكبار مسئوليها لضغوط البيت الأبيض من أجل تقديم تقديرات تدعم الإدارة في عزمها المضي في غزو العراق؟ وهل كانت الإدارة تنوي منذ البداية استخدام هذه التقارير الاستخبارية المرعبة لتكون أداة قوية تستحصل بها على قرار من الكونغرس يخولها بالحرب؟

الحرب على العراق وصفها ريتشارد كلارك المسئول الأميركي الذي أمضى زمنا طويلا يعمل منسقا لمكافحة الإرهاب في البيت الأبيض في عهدي الرئيسيين بيل كلينتون وجورج بوش، وصفها بأنها "مغامرة عسكرية لا صلة لها بالحرب على الإرهاب نهائيا"،

والسؤال الأكثر إرباكا الذي أثاره كلارك هو كيف لـ "السي آي ايه" التي حذرت البيت الأبيض والرئيس بوش من هجوم "إرهابي" وشيك نهاية صيف 2001 أن تعقب ذلك التحذير بمزاعم واضحة ومتكررة عن العثور على أسلحة دمار شامل عراقية لم تكن موجودة في الواقع.

الجواب الذي يقدمه كلارك مثير ومهم للغاية، يقول كلارك إنه في اليوم التالي للهجمات المدمرة على البنتاجون وبرجي مركز التجارة العالمي دخل "في عدة حوارات حول العراق" في البيت الأبيض، وهي حوارات لم تكن تتعلق "بالقضاء على القاعدة" بدلا من ذلك "أدركت فعلا أن رامسفيلد وولفوويتز يحاولان الاستفادة من هذه المأساة القومية للترويج لأجندتهما الخاصة بالعراق"، والمعنى واضح: "ضرب العراق".

التحقيقات في جذور الحرب على العراق مهما كانت متخبطة ومضطربة، فإنها يمكن أن تعكس خطرين اثنين تمثلهما المؤسسات الاستخبارية على الدول التي تديرها، الخطر الأول معروف ومفهوم جيدا، ويتمثل في الفشل في فهم القضايا المهمة على النحو الصحيح، وقد أخفقت "السي أي إيه" في نصف القرن الأول من عمرها في تفسير الكثير من الأمور المهمة.

أما الخطر الثاني الذي تمثله المؤسسات الاستخبارية فإنه الأسوأ، ألا وهو استغلال هذه المؤسسات من طرف السلطة التنفيذية لتكون وسيلة تحكم وسيطرة بالساحة الداخلية، الرئيس ريتشارد نيكسون كان دوما يقول إن "السي اي ايه" هي ذات انحياز ليبرالي وكانت تعمد لتزويد جون كيندي بالمعلومات لتساعده في الفوز بانتخابات 1960 الرئاسية.

ومادام مدير الوكالة يتصرف بما يتناسب مع رغبات الرئيس فإن

هذه الحالة ستبقى هي القاعدة السائدة.
القاعدة العامة هذه تنطبق على الاستخبارات والعمليات على السواء: ما تقوله "السي اي ايه" وما تفعله أيضا، ستكيف نفسها، مع الوقت مع ما يريده الرئيس، فحين لا يحب الرؤساء ما تقوله لهم "السي اي ايه" فإنهم يتجاهلونها وحين يريدون منها فعل شيء فإنهم يضغطون عليها لتفعله، باعتبارها مؤسسة لا تقاوم كثيرا من يضغط عليها وبمعنى آخر فهي مؤسسة مطواعة.
والتحدي الذي يواجهه المحققون الآن، والمؤرخون لاحقا، هو تفسير كيف جمعت "السي آي ايه" الأدلة على وجود أسلحة الدمار الشامل العراقية - وهي الأدلة المغلوطة في كل تفاصيلها-؟، وكيف استخدمها الرئيس بوش وكبار مساعديه للحديث عن خطر داهم ومتعاظم يبرر القيام بحرب إستباقية؟ هل يستطيع البيت الأبيض أن يقر بأن قراءته الخاطئة على نحو سافر لهذه الأدلة كانت شيئا غير مدفوع بعزمه على الذهاب إلى الحرب؟ وهذه الأسئلة هي التي تحدد تماما طبيعة الأزمة التي تواجه "السي آي ايه".